الفصل الرابع

ولادة الموساد

بن غورين أبو الموساد الشرعي

أُنشأ الموساد رسمياً في الثاني من آذار عام ١٩٥١، وبناء على أوامر من رئيس الوزراء بن غوريون ثم باشر مهامه في الأول من نيسان عام ١٩٥١، وأسسه ريفن شيلوح، وكان أول مدير له وقد سمي (الموساد) في البداية باسم مؤسسه التنسيق "هاموساد ليتيوم" ثم أُعيد تسميته عام ١٩٦٣ ليصبح مؤسسة الاستخبارات والمهمات الخاصة.

بدأت الخطوات الأولية لتأسيس وكالة الاستخبارات السرية الإسرائيلية على يد (شيلوح) عندما بعث برسالة إلى بن غوريون في تموز عام ١٩٤٩، يدعو فيها إلى إنشاء "وكالة مركزية مختصة بقضايا الأمن والاستخبارات" وتابعة لمكتب رئيس الوزراء، وبعد خلافات ومحاكمات مطولة بين بن غوريون ومختلف رؤساء الوكالات أرسل رئيس الوزراء في كانون الأول عام ١٩٤٩ الرسالة الآتية إلى وزير الخارجية شاريت:

"يجري الآن بناء على توجيهاتي إنشاء مؤسسة "الموساد" لتجميع وتنسيق أعمال وكالات الاستخبارات والأمن (دائرة استخبارات الجيش والقسم السياسي في وزارة الخارجية ووكالة الأمن العام .... الخ) ولقد عهدت إلى مستشار وزير الخارجية للعمليات الخاصة شيلوح تأسيس الموساد ليكون أول مدير له، سيعمل شيلوح تحت إشرافي، وسيتصرف طبقاً لتعليماتي وسيطلعني باستمرار عما يقوم به من نشاطات وسيكون مكتبه من الناحية الإدارية تابعاً لوزارة الخارجية".

"ولقد طلب من شيلوح أن يقدم إلى وزارة الخارجية إقتراحاً يتعلق بالميزانية والطاقة البشرية لعام ١٩٥٠- ١٩٥١، على أن لا تتجاوز مبلغ (٢٠ ألف شيكل إسرائيلية) وسيقتطع خمسة الآف ليرة من هذا المبلغ لتُنفق على المهمات الخاصة ولكن بموافقة مسبقة صادرة عني شخصيا".

يعتبر شيلوح الذي انتهت حياته بحادث سيارة عام ١٩٥٩ بمثابة الأب الحقيقي للموساد فقد كان رئيس هيئة سرية هي وحدة أو لجنة رؤساء الاجهزة "فاءدات راشي

هاشير وتيم"[1] ومع ذلك قلما يرد اسمه في الكتابات الشعبية عن الاستخبارات الإسرائيلية.

ولد شيلوح في القدس وكان والده حاخاماً واشتغل أولاً بالتعليم ثم قضى بضع سنوات في العراق وتخفى تحت ستار العمل في "النشرة الفلسطينية" (بالستاين بولتين) ثم قبل العمل كضابط ارتباط بين الوكالة اليهودية والسلطات البريطانية حيث أنشأ علاقه حميمة مع منفذ العمليات الخاصة البريطانية ومن قاعدتيه في القاهرة وباري بإيطاليا حيث أنشأ علاقة حميمة مع يهود للعمل خلف خطوط العدو في البلقان بعد الحرب توجه إلى أمريكا لتأمين الدعم المالي لشراء الأسلحة ثم نُقل إلى واشنطن بصفته دبلوماسي برتبه وزير أما في الحقيقة فكانت مهمته التفاوض لإعطاء مركز مميز لرجال الاستخبارات الإسرائيلية المتعاقبين داخل وكالة الاستخبارات المركزية التي كانت لا تزال في بداية عهدها.

من المؤكد أن مساعدة الأمريكين لشيلوح خدمت المصالح الأمريكية فعلى الرغم أن الإتحاد السوفيتي كان الدولة الأولى التي اعترفت بإسرائيل رسمياً، فقد غير موقفه عندما أدرك (ستالين) مدى الخطأ الذي إقترافه وكان لابد له من القبول بواقع أن الدولة الجديدة المستقلة التي قامت بعد إنتهاء عهد الإستعمار قد لا تصبح الزبون الطيع بين يدي الإتحاد السوفيتي أو حتى دولة تدور في فلكه كما كان يظن.

وكان للأمريكيين أسبابهم الخاصة لتأييد الدولة العبرية الناشئة وللترحيب بعروض شيلوح ومن بين أول وأشد المتحمسين في اللوبي المؤيد لإسرائيل داخل أسرة المخابرات الامريكية (جيم انغلتون) رئيس فرع مكافحة الجاسوسية في مكتب الخدمات الإستراتيجي ثم رئيس أركان مكافحة الجاسوسية منذ ديسمبر عام ١٩٥٤ حتى إحالته إلى التقاعد.

(١) اسم الوحدة الاستخباراتية.

تفاصيل البداية

فى ٢ اذار ١٩٥١ استدعى بن غوريون قادة أجهزة الاستخبارات الخمسة إلى مكتبه وأخبرهم أنه ينوى تكليف مهمة نشاطات جمع المعلومات والاستخبارات الخارجية لإسرائيل لوكالة جديدة تدعى "ها موساد لى تيوم" أو معهد التنسيق وسيكون لها ميزانية مبدئية تقدر بحوالي عشرين ألف شيكل إسرئيلى والتى سيتم إنفاق خمسة الآف منها على مهام خاصة لكن بموافقة بن غوريون المسبقة فقط.

وستوظف الوكالة الجديدة كادرها من أفراد وكالات الاستخبارات الموجودة وسيتم إطلاق اسم الموساد عليها فقط في الاستعمال اليومي.

ستكون الموساد في كل شئونها الإدارية والسياسية تحت سلطة وزارة الخارجية وبكل الأحوال سيكون ضمن كادرها ضباط رفيعى المستوى يمثلون الأجهزة الأخرى ضمن مجتمع إسرائيل الاستخباراتي: شين بيت، الأمن الداخلي، أمان، الاستخبارات العسكرية، استخبارات القوى الجوية، استخبارات البحرية.

وستكون وظيفة هؤلاء الضباط إطلاع الموساد على الاحتياجات الخاصة لعملائهم وفي حال الإختلاف على أي طلب سيتم تحويل الأمر إلى مكتب رئيس الوزراء.

بطريقته الفظة المعتادة في الكلام قال بن غوريون: ستقدمون للموساد قائمة التسوق وسيذهب الموساد ويحصل على البضائع وليس من شأنكم معرفة المكان الذي تسوق منه أو ما دفعه للبضائع، تصرف بن غوريون مثل لجنة مراقبة تتكون من رجل واحد للإشراف على الجهاز الجديد وفي مذكرة لرئيس الجهاز الجديد ريفون شيلوه أمر رئيس الوزراء بأن يكون الموساد تحت إشرافي وأن يعمل وفقاً لتوجيهاتي وأن يقدم تقاريره لي بإستمرار.

لقد تم وضع القواعد الاساسية

بعد ثماني وعشرين سنة حافلة بالأحداث من جلوس أولئك اليهود في القدس عشية ليلة أيلول سنة ١٩٢٩ للبحث في الأهمية القصوى للاستخبارات في منع أي هجمات عربية أخري أصبح لدى أحفادهم جهاز استخبارات سري سيتحول بمرور الزمن إلى أحد أهم وأقوي أجهزة الاستخبارات في العالم.

لم تكن ولادة الموساد مثل ولادة لإسرائيل يسيرة أبداً وتولى الجهاز الإشراف على شبكة تجسس في العراق كانت تعمل منذ بضع سنوات تحت إشراف القسم السياسي لقوات الدفاع الإسرائيلية وكانت مهمة الشبكة الأساسية إختراق الدوائر العليا في الجيش العراقي وتنظيم شبكة هجرة سرية لنقل اليهود العراقيين إلى اسرائيل.

في نيسان سنة ١٩٥١ بعد تسعة أسابيع فقط من توقيع بن غوريون على أمر إنشاء الموساد انقض رجال الأمن العراقيون في بغداد على الشبكة وتم اعتقال عميلين إسرائليين إلى جانب العشرات من اليهود العراقيين والعرب الذين كانوا يتلقون رشاوي لإدارة شبكة الهروب والتي كانت تمتد إلى كل الشرق الأوسط وتم إتهام ثمانية وعشرين شخصاً بالتجسس وحُكم على كلا العمليلين الإسرائيليين بالإعدام وسبعة عشر بالسجن مدى الحياة فيما تم إطلاق سراح الآخرين كمثال على نزاهة القضاء العراقي.

تم إطلاق سراح عميلي الموساد لاحقاً من السجن العراقي حيث تعرضا للتعذيب الشديد مقابل مبلغ طائل من المال إلى حساب مصرفي سويسري يخص وزير الداخلية العراقي.

تبع ذلك كارثة أخري تخص الجاسوس الذي يعمل في روما لوقت طويل لصالح القسم السياسي ثيودور غروس قبل أن يتحول للعمل للموساد بموجب الترتيب الجديد وفي كانون الثاني سنة ١٩٥٢ تلقى ايسر هاريل الذي كان قائداً للشين بيت جهاز الاستخبارات الإسرائيلي الداخلي إثباتاً لا جدال فيه على أن غورس عميل مزدوج ويتلقي راتباً من الاستخبارات السرية المصرية وقرر هاريل السفر إلى روما حيث أقنع غورس بالعودة إلى تل أبيب لأنهم على وشك تعيينه في منصب كبير في الشين بيت وتمت

محاكمة غورس سراً وإدانته والحكم عليه بالسجن خمس عشرة سنة فيما بعد مات غورس في السجن.

نتيجة لتلك الإخفاقات استقال "ريفون شيلوه" مكسور الخاطر وتم استبداله بايسر الذي سيبقى رئيساً للموساد إحدي عشرة سنة وهي مدة لم يضاهه بها أحد في شغل ذلك المنصب.

لم يكن الموظفون الذين رحبوا بهاريل في مركز قيادة الموساد في الصباح يوم أيلول سنة ١٩٥٢ معجبين بمظهره الجسدي ولم يكن طوله يتجاوز (١٥٠ سم) وكانت أذناه بارزتين ويتكلم العبرية بلهجة أوروبية ثقيلة وكانت عائلته قد هاجرت من لاتفيا سنة ١٩٣٠ وكانت ملابسه تبدوا كما لو أنه قد نام وهو يرتديها.

كانت أولى كلماته للكادر المجتمع انتهى الماضي لن يكون هناك المزيد من الأخطاء سنتقدم معاً ولن نتكلم مع أحد سوي أنفسنا.

أعطي مثالاً عما كان يقصده في نفس ذلك اليوم وإستدعى بعد الغداء وعندما سأله عن المكان الذي سوف يقصدونه كان الجواب أن ذلك سر وصرف هاريل السائق وجلس بنفسه خلف مقود السيارة وعاد مع كيس من الفطائر للموظفين لكن الفكرة كانت قد وصلت هو من سيطرح الاسئلة.

كانت تلك اللحظة التي أحب بها الموظفون هاريل، وكان قادراً على بث النشاط فيهم من خلال ذلك المثال وقد سافر إلى بلاد عربية معادية لينظم شخصياً شبكات الموساد وقابل كل شخص يريد الإنضمام إلى الجهاز كان يبحث عن أولئك الذين يشبهونه وياتون من المزارع الجماعية اليهودية.

أخبر معاوناً له عن سياسته

أشخاص مثل هؤلاء يعرفون عدونا ويعيشون بالقرب من العرب ولابد أنهم تعلموا ليس التفكير مثلهم وحسب وأنما التفكير بشكل أسرع.

كان صبر هاريل أسطورياً مثلما هى ثورات غضبه وأصبح ولاؤه لموظفيه معروفاً على نطاق واسع. وكان ينظر إلى كل أولئك الذين يعملون خارج دائرته المغلقة بعين الشك لانهم (انتهازيون ليس لديهم مبادىء) لم يكن يتعامل مع أشخاص يعتبرهم (متسترين بالتعصب مثل القوميين وخصوصاً فى الدين) وأظهر بشكل متزايد كرهاً علنيا لليهود الأرثوذكس، كان هناك عدد من هؤلاء في حكومة بن غوريون والذين سرعان ما أظهروا استياءهم من ايسر هاريل ثم حاولوا إيجاد طريقة لتنحيته لكن رئيس الموساد المخادع كان حريصاً على البقاء.

ساعده في ذلك أن إنجازات الموساد آنذاك كانت تتحدث عن نفسها وساهم عملاء هاريل في نجاح اشتباكات سيناء ضد المصريين وكان لديه جواسيس في كل عاصمة عربية ويقدمون له سيلاً لا ينقطع من المعلومات التي لا تقدر بثمن وحقق نجاحاً آخر عندما سافر إلى واشنطن سنه ١٩٥٤ للقاء ألان دوليس الذي كان قد تولي إدارة CIA للتو ومثل هاريل مدير الاستخبارات المحنك مع خنجر بنقوش دينية لم يكن حارس إسرائيل في حالة سبات أو نائماً.

اجاب دوليس: تستطيع الإعتماد علي للبقاء متنبهاً معك.

انشأت تلك الكلمات شراكة بين الموساد وCIA واستطاع دوليس تزويد الموساد بمعدات حديثة جداً أجهزة تنصت وتعقب آلات تصوير تعمل عن بعد وتشكيلة من المعدات التي أعترف هاريل نفسه بأنه لم يكن يعرف بوجودها وانشأ الرجلان أيضاً أول قناة خلفية بين جهازي الاستخبارات والتي يستطيعان الاتصال الدبلوماسي المعتاد مما أزعج كلا من وزارتي الخارجية الأمريكية والإسرائيلية ولم يكن لتلك القناة تأثير في تحسين موقف هاريل في الدوائر الدبلوماسية.

في سنة ١٩٦١ كان هاريل العقل المدبر وراء عملية نقل آلاف اليهود المغاربة إلى إسرائيل وبعد سنة من ذلك التاريخ كان رئيس الموساد الذي لا يكل ولا يمل في جنوب السودان ليساعد الثوار الموالين لإسرائيل في حربهم ضد النظام وساعد في تلك السنة

أيضاً الملك الأثيوبي هايل سيلاسي في سحق محاولة إنقلاب.. لقد كان العاهل حلفياً لإسرائيل منذ زمن طويل.

لكن في الداخل كانت أصوات اليهود الأرثوذكس في مجلس الوزراء تتعالي ضده وتتذمر من أن ايسر هاريل قد تحول إلى مستبد لا يطاق وأنه لا يراعي الحساسيات الدينية وأنه رجل يمتلك برنامجه الخاص وربما هو طموح للوصول إلى المكتب السياسي الأعلى في البلاد وإرتفع خيال بن غوريون السياسي وأصاب الفتور العلاقات بينه وبين هاريل ورغم أنه منح هاريل صلاحية مطلقة من قبل إلا أنه بدا آنذاك يطلب إطلاعه على أصغر وأدق تفاصيل أي عملية.. وإمتعض هاريل من المعوقات المحكمة لكنه لم يقل شيئاً وإشتدت حملة الشائعات ضده.

في شباط سنه ١٩٦٢ تصاعد الغمز واللمز حول مصير فتى يبلغ من العمر ثماني سنوات ويدعى "جوزيل شوماخر" وكانت منظمة أرثوذكسية متطرفة قد خطفت الطفل من والديه قبل سنتين وكان جد الطفل لأمه "نامان شتاركس" عضواً في جماعة نيتوري كارتا وتعني "حراس أسوار القدس" وكان يشتبه بتواطئه في عملية الإختطاف ورغم حملة الشرطة الضخمة لإيجاد جوزيل إلا أنها لم تعثر على أي دليل حول مكانه وتم وضع "نامان" في السجن لوقت قصير عندما رفض التعاون مع التحقيقات وحول اليهود الأرثوذكس الرجل العجوز إلى شهيد وتظاهر الآلاف منهم حاملين رايات تدعي أن بن غوريون لا يختلف عن النازيين وأنه يعمل على سجن الشيوخ وتم إطلاق سراح نامان لأسباب صحية لكن الاحتجاجات تواصلت.

حذر مستشارو بن غوريون السياسيون من أن تلك القضية قد تجعله يخسر الإنتخابات القادمة والأسوأ من ذلك أنه في حال وقوع حرب أخري مع العرب فإن بعض المجموعات الأرثوذكسية ستقدم لهم الدعم واستدعي رئيس الوزراء الذي استعد للمعركة هاريل وأمر الموساد بإيجاد الفتى وجادل هاريل بأن تلك ليست مهمة جهاز الاستخبارات وقال بكلماته:

"تحول الجو إلى جليد وكان يكرر أن ذلك أمر وقلت له إنني بحاجة لقراءة ملف الشرطة على الاقل وقال رئيس الوزراء إن لدي ساعة"..

كان ملفاً ضخماً لكن بينما كان ايسر هاريل يقرأه كان هناك شيء يسري داخله حق الوالدين في تربية طفلهما دون أن يتعرض لضغوط ومعتقدات دينية متطرفه.

ولد جوزيل في آذار سنه ١٩٥٣ لكل من آرثر وعيدا شوماخر وتم إرسال الفتى للعيش مع جده في القدس نظراً للصعوبات المإلية التي كانت العائلة تواجهها ووجد الطفل نفسه في جو ديني ومعزول روحياً عن باقي المدينة وعلم "نامان" حفيده معتقدات وطرق جماعته الدينية وعندما زار والدا جوزيل الفتى انتقدهما نامان بغضب لما اعتبره معتقداتهما الدينية الخاصة.

كان الرجل العجوز ينتسب إلى جيل ساعده إيمانه على النجاة من الهولوكوست وكانت لبنه نامان وصهره يشعران أن دورهما الرئيسي يتمثل في تشكيل حياة لهما في الأمة الشابة وكانت الصلاة تأتي غالباً بالنسبة لهما.

قال والدا جوزيل إنهما طلبا استعادته بعد أن تعبا من انتقادات "نامان" المستمرة ولكن الأخير رفض قائلاً إن انتقال جوزيل في تلك المرحلة سيقطع تعاليمه في الحياة الدينية والتي ستخدمُه في حياته عندما يصبح راشداً وكان هناك المزيد من النقاشات الغاضبة وفي المرة التالية التي زارا فيها القدس كان جوزيل قد اختفي.

اهتم كل من اليهود الأرثوذكس والعلمانيين بتلك الحادثه ورأوا في القضية شرخاً كبيراً يستمر في تقسيم الأمة وكان ذلك واضحا لحزب العمل الذي يقوده بن غوريون والذي لم يكن قادراً على الاستمرار في الحكم دون دعم الأحزاب الدينية المتنوعة في الكنيست والمقابل كانت تلك الأحزاب تحصل على امتيازات إضافية لتطبيق القوانين الأرثوذكسية المتشددة في الدولة وطالب اليهود الليبراليون بأن يعود جوزيل إلى عائلته.

أخبر هاريل بعد قراءته للملف بن غوريون أنه سيستخدم مصادر الموساد وقام بتشكيل فريق مكون من أربعين عميلاً لتحديد مكان جوزيل واعترض الكثيرون منهم علانية على ما أعتبروه سوء استخدام لمهاراتهم.

وأسكت انتقاداتهم بخطاب قصير

"رغم أننا سنعمل خارج إطار أهدافنا المعتادة إلا أنها تبقى قضية بالغة الأهمية وتتبع أهميتها من خلفيتها الاجتماعية والدينية وهي مهمة لأن هيبة وسلطة حكومتنا على المحك وهي هامة بسبب القضايا الإنسانية التي تنطوي عليها القضية"..

سرعان ما اكتشف الفريق في الأسابيع الأولى من التحقيقات مدى صعوبه المهمة.

تخفى رئيس مستقبلي للشين بيت والذي كان عميلاً للموساد بهيئة أرثوذكسي متشدد وحاول التسلل بين صفوفهم ولكنه فشل وصدرت الأوامر لعميل موساد آخر بتشديد الرقابة على مدرسة دينية لكن أمره كُشف خلال أيام وحاول عميل ثالث التسلل إلى مجموعه من طائفة الهاسيد (طائفة دينية واجتماعية أسسها الحاخام إسرائيل بن ألغازر في بولندا في القرن الثامن عشر) التي كانت في طريقها إلى القدس لدفن قريب لأحد أعضائها ضمن أسوار المدينة وسرعان ما تم كشفه عندما فشل في تلاوة الصلوات الصحيحة.

جعلت هذه الاخفاقات هاريل أكثر تصميماً وأخبر فريقه بأنه متأكد من أن الطفل لم يعد إسرائيل وأنما في مكان ما في أوروبا أو حتى أبعد من ذلك نقل هاريل مقر قيادة عملياته إلى منزل آمن للموساد في باريس وأرسل من هناك رجالاً إلى كل جماعة أرثوذكسية في إيطاليا والنمسا وفرنسا وبريطانيا وعندما لم ينتج عن ذلك شيء أرسل العملاء إلى أمريكا الجنوبية والولايات المتحدة.

استمر التحقيق الذي أصبح مثقلاً بالحلقات الغريبة وشارك عشرة عملاء موساد في قداس صباح الأحد في كنيسة في ضاحية هيندن القريبة من لندن واستدعى الحشد الغاضب الشرطة لاعتقال "الدخلاء الدينيين" بعدما سقطت لحاهم المزيفه خلال الشجار وتم إطلاق سراح العملاء بسرعه بعدما تدخل السفير الإسرائيلي مع وزارة الداخلية.

تم استدعاء حاخام أرثوذكسي جليل إلى باريس بذريعة أن أحد أعضاء عائلة ثرية يرغب منه القيام بمراسم معينة لظرف معين وقابله في المطار رجلان يرتديان معاطف

وقبعات اليهود الأرثوذكس الشديدة السواد وكانا عميلين للموساد وكان في تقريرهما عنصر كوميديا سوداء.

"أخذناه إلى ماخور بيغال دون أن تكون لديه أدنى فكرة عنه وظهرت اثنتان من البغايا اللتين دفعنا لهما سلفاً وألقيتا بنفسهما على الحاخام والتقطنا له صوراً فوتوغرافية وأريناهم له وقلنا أننا سنرسلها إلى محفله إذا لم يكشف عن مكان الصبي واقنعنا الحاخام أخيرا أنه لا يملك أي فكرة ولهذا مزقنا الصور أمامه".

ووقع حاخام آخر يدعي شي فرير في براثن بحث هاريل الذي كان يتوسع بإستمرار في عالم اليهود الأرثوذكس واختطف الموساد الحاخام عندما كان يسافر بين باريس وجنيف وعندما أصبحوا مقتنعين بعد استجواب قاس أنها نهاية ميتة أخرى أمر هاريل بأن يوضع فرير في منزل آمن في سويسرا حتى إنتهاء البحث لأنه خاف من أن يقوم الحاخام بإنذار المجتمع الأرثوذكسي.

ظهر دليل واعد آخر كانت مادلين فري إبنه عائلة أرستقراطية فرنسية وبطلة المقاومة الفرنسية في الحرب العالمية الثانية وقامت مادلين بإنقاذ عدد كبير من الأطفال اليهود من الترحيل إلى معسكرات الموت النازية واعتنقت اليهودية بعد الحرب.

أظهرت التحقيقات أنها كانت تقوم بزيارات منتظمة لإسرائيل وتقضي وقتها مع أعضاء في مجموعه "نيتوري كارتا" وأنها شاهدت جد جوزيل في عدة مناسبات وكانت آخر زيارة لها إلى إسرائيل في نفس الوقت الذي إختفى فيه الفتى ولم تعد إلى إسرائيل منذ ذلك الوقت.

في آب سنة ١٩٦٢ تعقبها عملاء الموساد إلى ضواحي باريس وهاجمتهم عندما عَرفُوا بأنفسهم واستدعى أحد العملاء ايسر هاريل الذي شرح لمادلين "الخطأ الكبير" الذي لحق بوالدي جوزيل وأن لهما الحق الأخلاقي بتربية ولدهما بالطريقة التي يرغبان بها وأنه يجب عدم إنكار هذا الحق على أي والدين وأصرت مادلين أنها لا تعرف شيئاً عن جوزيل وشاهد هاريل أن رجاله قد صدقوها.

طلب هاريل جواز سفر مادلين ووجد صورتها وصورة لابنتها وطلب من أحد العملاء إحضار صورة لجوزيل وكانت ملامح الوجهيين لكلا الطفلين في الصورتين متطابقة تقريباً، اتصل هاريل بتل أبيب بعد ساعات قائلاً:

"لدي كل ما أحتاج لمعرفته من تفاصيل حياتها الجنسية خلال أيام دراستها إلى قرارها بالإنضمام إلى الحركة الأرثوذكسية بعد تبرئها من المعتقد الكاثوليكي، عدت إلى مادلين وأخبرتها كما لو أنني أعرف كل شيء أنها صبغت شعر جوزيل لإخفائه وتهريب الفتي خارج إسرائيل، أنكرت ذلك بشدة وقلت أنها يجب أن تفهم أن مستقبل البلد الذي تحبه في خطر شديد وأن الناس في شوارع القدس التي تحبها يرمون الحجارة على بعضهم البعض ورغم ذلك رفضت الإعتراف بأي شيء وقلت لها أن للطفل أماً تحبه كما أحبت أولئك الأطفال الذين ساعدتهم في الحرب العالمية الثانية"..

فعل التذكير فعله وبدأت مادلين فجأة تشرح كيف سافرت بحراً إلى حيفا كسائحة لرؤية إسرائيل وعلى متن السفينة استطاعت تكوين صداقات مع عائلة من المهاجرين الجدد الذين كانت لهم طفلة بعمر جوزيل تقريباً وأنها مشت مع الفتاة الصغيرة على لوح السفينة الخشبي عندما وصلوا إلى حيفا وأعتقد ضابط الهجرة أنها ابنتها وأنه كتب ملاحظة بذلك في سجلاته وبعد أسبوع وأمام أعين الشرطة الإسرائيلية طارت في رحلة إلى زيوريخ مع ابنتها وأقتنعت مادلين الفتى جوزيل بأن يرتدي ملابس الفتيات وأن يضبغ شعره.

عاش جوزيل لفترة من الوقت في المدرسة الأرثوذكسية في سويسرا والتي كان الحاخام شي فرير يدرس فيها بعد احتجازه طارت مادلين مع جوزيل إلى نيويورك واسكنته مع عائلة كان أفرادها أعضاء في جماعة "نيتوري كارتا" ولم يكن لدى هاريل عندها سوي سؤال واحد أخيرا لها: "هل تعطينني اسم وعنوان العائلة ؟"

كان هناك لحظة صمت طويلة قبل أن تقول مادلين بهدوء : "إنه يعيش في الشقة ١٢٦ في شارع بن، بروكلين، نيويورك أنه معروف باسم يانكل جيرتنر.

ابتسم هاريل للمرة الأولى منذ لقائه بها "شكراً لك يا مادلين أرغب بتهنئتك بعرض عمل مع الموساد عليك إن ذكائك سيخدم إسرائيل كثيرا"..

رفضت مادلين.

طار عملاء الموساد إلى نيويورك وكان في انتظارهم فريق من مكتب التحقيقات الاتحادي FBI الذين حصلوا على إذن للتعاون من المدعي العام روبرت كينيدي وكان الأخير قد تلقى طلباً شخصياً من بن غوريون للمساهمة في حل القضية وانتقل العملاء إلى شقة رقم ١٢٦ في شارع بن وفتحت السيدة جيرتر الباب واندفع العملاء إلى الداخل حيث كان زوجها يصلي وكان إلى جانبه فتى شاحب الوجه يضع قبعة صغيرة على رأسه.

وقال أحد رجال الموساد بلطف: "**مرحباً يا جوزيل لقد أتينا لنأخذك إلى البيت لقد مرت ثمانية أشهر منذ أن بدأ الموساد بحثه وتم إنفاق مليون دولار أمريكي تقريباً على العملية**".

ولم تنفع عودة جوزيل سالماً إلى الديار في جسر الهوة الدينية في البلاد واستمرت الحكومات المتعاقبة في الترنح والسقوط بفعل الجماعات الأرثوذكسية البالغة الصغر التي يتم انتخابها إلى الكنيست.

رغم نجاحه في إيجاد الفتى إلا أن هاريل عاد إلى إسرائيل ليواجه انتقاداً شديداً جديداً من قبل الجنرال مير عميت الذي تم تعيينه حديثاً رئيساً لامان، الاستخبارات العسكرية ورغم أن هاريل تغاضى عن سلفه في المنصب إلا أنه وجد نفسه يتلقى انتقادات جارحة من عميت تتعلق بعملية إنقاذ جوزيل.

أصبح عميت القائد الميداني المتمرس مقرباً من بن غوريون في رمال السياسية الإسرائيلية المتحركة دائماً وأخبر رئيس الوزراء أن هاريل قد "أنفق الموارد" وأن عملية الإنقاذ بكاملها ليست علامة على أن رئيس الاستخبارات قد استمر في منصبه مدة طويلة جداً ونسى أن بن غوريون الذي وافقه الرأي أمر هاريل بتنفيذ العملية وفي ٢٥ آذار سنة ١٩٦٣ استقال ايسر هاريل في سن الخمسين بعدما أنهكه التعب نتيجة أسابيع

طويلة من العمل المكثف وكان رجاله على وشك البكاء عندما صافحهم وخرج من مقر قيادة الموساد كان الجميع يعرف بأنها نهاية حقبة.

بعد عدة ساعات خطا رجل طويل ممشوق القوام بنشاط عبر أبواب الموساد: لقد تم تعيين مير عميت ولم يكن هناك حاجة لإخبار أحد أن تغييرات مثيرة ستتم في أسلوب عمل الجهاز.

بعد خمس عشرة دقيقة من الجلوس إلى مكتبه عقد رئيس الموساد الجديد اجتماعاً لرؤساء الأقسام لديه ووقفوا مجتمعين أمامه فيما كان ينظر اليهم بصمت ثم تحدث بصوت قوي كأن قد أطلق عدداً لا يحصى من المعارك.

لن يكون هناك تدخل سياسي كبير في أعمالنا أشار عميت إلى أنه سيحمي كل واحد منهم من الإنتقاد الخارجي لكن لا شيء سيحافظ على وظائفهم إذا فشلوا في مهامهم، سيقاتل للحصول على المزيد من الأموال من ميزانية الدفاع للحصول على أحدث المعدات ومصادر الدعم لكن ذلك لن يكون على حساب نسيان إحدى أهم مصادر القوة التي وضعها فوق كل شيء: هومنت أو فن جمع المعلومات الاستخباراتية البشري وأراد أن تكون تلك أعظم مهارات الموساد.

وجد موظفون أنهم يعملون مع رجل ينظر إلى أعمالهم خارج نطاق العمليات اليومية لكن إلى نتائجهم في السنوات القادمة وكان الحصول على التقانة العسكرية يقع في تلك الخانة.

بعد وقت قصير من تولي مير عميت القيادة دخل رجل قال إن اسمه سلمان إلى السفارة الإسرائيلية في باريس وقدم عرضاً مذهلاً وقال إنه يضمن مقابل مليون دولار أمريكي نقداً تقديم ما كانت عندها أكثر الطائرات المقاتلة سرية في العالم الروسية ميغ ٢١ وأختتم سلمان عرضه المذهل لدبلوماسي إسرائيلي بطلب غريب "أرسلوا شخصاً إلى بغداد وليتصل بهذا الرقم ويسأل عن جوزيف ولتكن المليون دولار جاهزة".

أرسل الدبلوماسي تقريره إلى الكاستا المقيم في السفارة والذي كان أحد أولئك الذين استطاعوا التغلب على عملية التطهير التي لحقت تعيين مير عميت أرسل الكاستا تقريره إلى تل أبيب مع رقم الهاتف الذي قدمه سلمان.

وازن مير عميت الأمر ودرسه لعدة أيام قد يكون سلمان محتالاً أو مخادعاً أو حتى جزءً من مكيدة عراقية للإيقاع بعميل موساد كانت مخاطرة حقيقية بأن يتم فضح كاستا آخرين يعملون خفية في العراق لكن احتمال الحصول على طائرة ميغ ٢١ كان لا يقاوم.

جعل مقدار الوقود الذي تحمله وارتفاعها وسرعتها وتسجيلها وقت طيرانها منها طائرة الجبهة المقاتلة الأولى في العالم العربي وسيكون قادة القوة الجوية في إسرائيل سعداء لدفع ملايين الدولارات لمجرد إلقاء نظرة على مخطط بناء الميغ فما بالهم بالحصول على طائرة كاملة قال مير عميت: "ذهبت للفراش أفكر بالأمر واستيقظت أفكر فيه وفكرت فيه في الحمام وأثناء العشاء وفكرت فيه في كل لحظة فراغ كانت لدي وكانت متابعة نظام التسليح المتطور للعدو أولوية لأي جهاز استخبارات أما الحصول عليه فهو شيء لم يحصل من قبل".

كانت الخطوة الأولى إرسال العميل إلى بغداد وابتكر مير عميت هوية مزيفة للعميل ووضع إسماً مستعاراً إنجليزيا على جواز سفره – جورج باكون "لم يكن أحد يعتقد أن يهودياً سيكون له اسم مثل هذا".

سافر باكون إلى بغداد بصفة مدير مبيعات لشركة مقرها لندن وتبيع معدات تصوير بأشعة إكس للمستشفيات وصل إلى بغداد عينات المعدات وتظاهر بأنه سيبيع عدة أجهزة للمستشفيات وفي بداية أسبوعه الثاني قام باكون بالإتصال بالرقم الذي حدده سلمان وتتضمن تقارير باكون شروحاً تفصيلية: "استخدمت هاتفاً عاماً في بهو الفندق وكانت مخاطرة أن يكون الهاتف مراقباً أقل من إجراء المكالمة في غرفتي، أجاب الطرف الآخر على المكالمة فوراً وسأل صوت بالفارسية عن المتكلم وأجبت بالإنجليزية وأعتذرت لأنني طلبت رقماً خاطئاً ثم سأل الصوت بالإنكليزية أيضاً عن

المتكلم وقلت إنني صديق لجوزيف هل هناك شخص بهذا الاسم ؟ وطلب مني الصوت الإنتظار قليلاً واعتقدت أنهم ربما سيتعقبون المكالمة وأن تلك ليست سوى مكيدة ثم كان هناك صوت مهذب على الهاتف يقول أنه جوزيف وأنه مسرور لأنني اتصلت ثم سألني إذا ما كنت أعرف باريس وقلت في نفسي: لقد حصل الاتصال!

وجد باكون نفسه يوافق على الاجتماع في مقهى في بغداد في ظهيرة اليوم التالي وفي ساعة اللقاء قدم شخص نفسه بابتسامة على إنه جوزيف وكان وجهه مليئاً بالحفر وشعره أبيض وأرسل العميل تقريراً آخر يصف الجو السريالي للقاء.. قال "جوزيف": إنه سعيداً جداً للقائي كما لو أنني قريب ينتظره منذ زمن طويل وبدأ بعدها يتحدث عن الطقس وكيف أن مستوى الخدمات قد تراجع في مقاهي مثل هذا وفكرت هناك أنني وسط بلد معاد وأن أجهزته الأمنية كانت ستقتلني بالتأكيد إذا سنحت لها الفرصة وأنني استمع إلى تخرِفات رجل عجوز ووصلت إلى قناعة بأنه مهما كانت صفة الرجل ومهما كانت علاقته مع سلمان في باريس لم يكن جوزيف بالتأكيد ضابطاً في جهاز مكافحة التجسس العراقي وهدأ ذلك من روعي وأخبرته أن اصدقائي مهتمون جداً بالسلعة التي ذكرها صديقه وأجاب "إن سلمان أب أخي وهو يعيش في باريس إنه نادل في مقهى وقد غادر كل الندلاء الجيدون هذا المكان" وانحني بعدها عبر الطاولة وقال: هل أتيت من أجل الميغ ؟ لقد حضرتها لك لكنها ستكلف مليون دولار أن الأمر بهذه البساطة".

شعر باكون عندها أنه ربما كان جوزيف أكثر مما يبدوا وكان ذلك مؤكداً حول شخصيته ولكن بدأ بسؤاله هز الرجل العجوز رأسه "ليس هنا قد يكون الناس يستمعون ".

اتفقا على اللقاء مجدداً في اليوم التالي على مقعد خشبي في منتزة بالقرب من نهر الفرات الذي يتدفق عبر المدينة ولم ينم باكون تلك الليلة جيداً وبقى يتساءل حول ما إذا كان يقترب من الفخ المعد بعناية إن لم يكن من قبل الاستخبارات العراقية فمن قبل رجال مخادعين شديدي الذكاء يستخدمون جوزيف كواجهه لهم.

كشف لقاء اليوم التالي بعض خلفية جوزيف ودوافعه.

لقد انحدر الرجل من عائلة يهودية عراقية فقيرة وعمل في صباه كخادم لدى عائلة من الأقلية المسيحية في بغداد ثم وبعد ثلاثة عشر عاماً من الخدمة المخلصة تم صرفه من الخدمة بشكل فظ نتيجة اتهامه خطأ بسرقه بعض الطعام ووجد نفسه في عيد ميلاده الخمسين على قارعه الطريق كان أكبر من أن يجد عملاً آخر وعاش في فندق متواضع وقرر عندها أيضاً اكتشاف جذوره اليهودية وناقش سعيه مع شقيقته الأرمله مانو الذي كان ابنها منير طياراً في سلاح الجو العراقي واعترفت مانو أن لديها رغبة قوية بالذهاب إلى إسرائيل لكن كيف يمكنهم القيام بذلك ومجرد ذكر الفكرة كان يعني المخاطرة بدخول السجن العراقي وإذا تخلف أي شخص من العائلة ستعمل السلطات العراقية على معاقبته بشدة وربما قتله أيضاً ومن أين سيأتي المال؟ وتنهدت وقالت إن الأمر كله مجرد حلم مستحيل.

لكن الفكرة اتقدت في ذهن جوزيف وكان منير يقول إن قائده يتباهي دائماً بأن إسرائيل ستدفع ثروة مقابل الميغ التي يطير بها "وربما مليون دولار أمريكي أيها الخال جوزيف".

استولى الرقم على ذهن جوزيف لأنه من خلاله يستطيع رشوة المسؤولين وتنظيم عملية الهروب ويستطيع بواسطة ذلك المال إخراج العائلة كلها من العراق وكلما فكر بالأمر كلما وجده معقولاً كان منير يحب والدته وكان سيفعل أي شيء لأجلها حتى سرقة طائرته مقابل مليون دولار ولن تكون هناك حاجة ليقوم جوزيف بتنظيم فرار أفراد الأسرة لأنه سيدع الموساد يقوم بذلك، كان الجميع يعرفون أنهم ماهرون في مثل تلك الأشياء ولهذا السبب أرسل سلمان إلى السفارة.

ابتسم جوزيف لباكون قائلاً: وأنت الآن هنا يا صديقي..

ماذا عن منير ؟ هل يعرف أياً من هذا؟

"نعم لقد وافق على سرقة الميغ لكنه نصف المال مقدماً الآن والبقية قبل القيام بذلك".

كان باكون مصعوقاً وبدأ أن كل ما سمعه موثق وعملي لكن كان عليه أولاً ارسال تقرير إلى مير عميت.

في تل أبيب استمع رئيس الموساد طوال فترة بعد الظهر بينما كان باكون يقدم كل تفصيل في تقريره وسأل مير عميت:

أخيرا: "أين يريد جوزيف ان ندفع له المال"؟

إلى بنك سويسري لدى جوزيف ابن أخ يحتاج لمعالجة طبية فورية ليست متوفرة في بغداد ستمنحه السلطات العراقية الإذن للذهاب إلى سويسرا وعندما يصل إلى هناك يتوقع منا أن نكون قد حولنا المبلغ إلى حسابه".

علق مير عميت بسخرية: رجل ذو حيلة واسعة هذا جوزيف، حالما يتم تحويل المال إلى ذلك الحساب لن نستطيع استراده أبداً "وطرح سؤالاً إضافياً على باكون: لماذا تثق بجوزيف؟

أجاب باكون: أثق به لأن ذلك هو الخيار الوحيد أمامنا.

أمر مير عميت بتحويل نصف مليون دولار أمريكي إلى الفرع الرئيسي في بنك الاعتماد السويسري في جينيف وكان يقامر بما هو أكثر من المال وكان يعرف أنه لن ينجو بفعلته إذا كان جوزيف مجرد محتال ذكي والذي يعتقد بعض ضباط الموساد أنه كذلك بالضبط.

كان الوقت قد حان لتقديم تقرير لرئيس الوزراء بن غوريون ورئيس أركانه إسحاق رابين وأعطى كلا من الرجلين الضوء الأخضر للعملية ولم يخبرهما مير عميت أنه قام بخطوة إضافية سحب كامل شبكة الموساد من العراق.

"إذا فشلت العملية لا أريد لأحد أن يعاقب عداي أنا، لقد حضرت خمسة فرق سيكون الفريق الأول صلة الوصل بين بغداد وبيني ولن يخترقوا صمت اللاسلكي إلا إذا حصلت أزمة وبخلاف ذلك لا أريد سماع شيء منهم وسيتمركز الفريق الثاني في بغداد دون أن يعرف أي منهم شيئاً ولن يكون باكون بينهم ولا أي من أفراد الفريق الأول وسيكونون هناك لإخراج باكون من البلد إذا حدثت مشكلة وجوزيف أيضا

بالطبع وسيراقب الفريق الثالث العائلة وسوف ينسق الفريق الرابع معه الإكراد الذين زودتهم إسرائيل بالسلاح والذين سيساعدون في المراحل النهائية من إخراج العائلة وسوف ينسق الفريق الخامس مع واشنطن وتركيا وحتى تستطيع الميغ الخروج من العراق يجب عليها الطيران فوق المجال التركي للوصول الينا وستعمل واشنطن التي توجد قواعدها في شمال تركيا على اقناع الأتراك بالتعاون والقول أن الأمر سينتهي بالميغ في الولايات المتحدة وكنت أعرف أن العراقيين يخافون من إمكانية هروب أحد الطيارين إلى الغرب ولهذا كانوا لا يملأون سوى نصف خزانات الطائرات بالوقود وكان ذلك شيئاً لا نستطيع فعل شيء تجاهه.

كان هناك مشاكل أخري عالقة وقرر جوزيف أن يكون لدي أقربائه البعيدين وليس عائلته المباشرة وحسب فرصة الهروب من النظام العراقي القاسي وأراد أن يتم نقل ثلاثة وأربعين شخصا بالطائرة إلى الأمان.

وافق مير عميت فقط ليواجه مشكلة جديدة وأرسل باكون من بغداد رسالة مشفرة أن منير لديه أفكار أخرى كان رئيس الموساد يشعر بما يحدث وكان منير أولاً وقبل كل شيء عراقياً وكان العراق طيباً معه ولم يكن مقتنعاً بخيانة بلده لصالح إسرائيل لقد كنا العدو وكانوا يعلمونه ذلك طوال حياته وقررت أن الطريقة الوحيدة كانت بإقناعه أن الميغ سيذهب مباشرة إلى أمريكا وهكذا سافرت إلى واشنطن وقابلت ريتشارد هيامز، DCI مدير الاستخبارات المركزية الأمريكية واستمع إلىّ وقال: لا مشكلة لقد كان دائماً متعاوناً هكذا ورتب لقاء الملحق العسكري الأمريكي في بغداد مع منير وأكد الملحق أن الطائرة ستسلم إلى الولايات المتحدة وألقى على مسامع منير الكثير من الكلام حول ضرورة مساعدة أمريكا في اللحاق بالروس وابتلع منير الطعم ووافق على المضي قدماً.

كانت العملية تجري وفق خطوات خاصة بها وحصل قريب جوزيف على إذن الخروج العراقي وسافر إلى جنيف وأرسل من هناك برقية: "تجهيزات المستشفي ممتازة وأكدوا

لي أنني سأتماثل للشفاء الكامل" وكانت الرسالة علامة على أن الخمسمائة ألف دولار الأخرى قد تم تحويلها.

أخبر جوزيف وهو مطمئن باكون أن العائلة جاهزة وفي الليلة التي سبقت قيام منير بالطيران قادهم جوزيف في قافلة من المركبات شمالاً إلى هدوء الجبال الباردة ولم تعترضهم نقاط التفتيش العراقية لأن السكان يهربون في كل صيف من حر بغداد اللاذع، كان الأكراد ينتظرونهم عند سفوح التلال مع فريق الإرتباط الإسرائيلي وقادوا العائلة إلى أعالي الجبال حيث كانت مروحيات الجيش التركي بانتظارهم وطارت تلك المروحيات تحت مستوي الرادار عائدة إلى تركيا.

اتصل عميل إسرائيلي مع منير ليخبره أن شقيقته قد وضعت بأمان فتاة صغيرة وكانت تلك رسالة مشفرة أخري عن الانتقال الآمن.

في صبيحة اليوم التالي الموافق ١٥ آب سنه ١٩٦٦ وعند بزوغ الفجر أقلع منير بطائرته في مهمة تدريبية وحالما غادر أرض المطار شغل محراق الميغ ووصل إلى الحدود التركية قبل أن تصدر الأوامر للطيارين العراقيين الآخرين بإسقاطه وواكبته طائرات الفانتوم التابعة لسلاح الجو الأمريكي وهبط منير في قاعدة جوية تركية وأعاد التزود بالوقود وأقلع ثانية وسمع من خلال سماعات الرأس الرسالة التالية بكلام واضح هذه المرة: "كل أفراد عائلتك بأمان وفي طريقتهم للإنضمام اليك".

حطت طائرة الميغ بعد ساعة من ذلك في قاعدة جوية عسكرية في شمال إسرائيل.

أصبح الموساد لاعباً جدياً على الساحة العالمية وضمن مجتمع الاستخبارات الإسرئيلي أصبحت الأمور الهامة تصنف على أساس BA وتعني قبل عميت و AM وتعني بعد مير.